أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

تقدير موقف

سوناك والسياسة الخارجية البريطانية
المحدِّدات والأولويات

إعداد: عبد الله فالق

كانون الأول/ديسمبر 2022

dimensioncenter.net

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية - ©2022

info@dimensionscenter.net

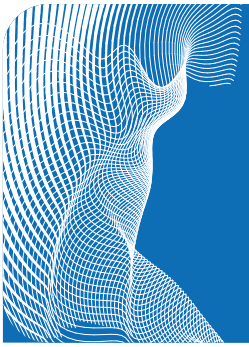

مقدمة

يمكن التماس العذر لمن يعتقدون أن تعيين ريشي سوناك (Rishi Sunak) كرئيس وزراء جديد للمملكة المتحدة سيكون له تأثير إيجابي على السياسة الخارجية لبريطانيا. فبالنسبة للكثيرين، يُعتبر اعتلاؤه لمنصب رئيس الوزراء لحظة مهمة في ثقافة البلاد، وعلامة فارقة حتى بالنسبة للشتات الهندي في بريطانيا والأقليات العِرْقية بشكل عامّ. على الرغم من أن ثروته الشخصية الهائلة تجعله واحداً من النخبة العالمية وليس شخصاً عادياً، إلا أن صورة شخص من أصول هندية يشغل منصب رئيس الوزراء في بريطانيا كانت مصدراً للإثارة الكبيرة. فهل من الممكن -إلى جانب رمزية ذلك المشهد- أن نتوقع رؤية تغييرات كبيرة في السياسة الخارجية للمملكة المتحدة؟

أولاً: العوامل المؤثِّرة على أجندة سوناك الخارجية

تبرز مجموعة من العوامل الأساسية التي من شأنها التأثير على أجندة السياسة الخارجية لرئيس الوزراء البريطاني ريشي سوناك:

1- الخبرة العملية:

على عكس مَن سبقه من رؤساء الوزراء، بوريس جونسون وليز تروس، يتمتع سوناك بخبرة قليلة جداً في السياسة الخارجية. فلم يسبق له أن شغل منصباً في وزارة الخارجية. قد يعني هذا أن الرجل البالغ من العمر 42 عاماً سيكون رئيس وزراء الوضع الراهن بشكل مختلف عن أسلافه كما أنه من غير المرجّح أن يسعى لتحقيق أهداف السياسة الخارجية بما يختلف جذرياً عن تلك التي حددها كبار المسؤولين في وزارة الخارجية. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن سوناك ليس لديه تاريخ من مواقف محددة في السياسة الخارجية، بصرف النظر عن الفروق الطفيفة في الشؤون المالية الدولية والصلة بالسياسة النقدية المحلية.

2- الخلفية السياسية:

من منظور التوجهات السياسية، يمكن القول: إن سوناك -على عكس رؤساء وزراء المملكة المتحدة السابقين- لا يبدو مؤيداً قوياً لسياسة المحافظين الجدد في الشرق الأوسط، فهو ليس محافظاً جديداً بشكل حاسم، مما يعني أنه من غير المحتمل أن يدعم أجندة اليمين الأمريكي المتشددة والعدوانية، وسيكون أقل حماساً بشأن العقوبات المفروضة على روسيا والصين وإيران وغيرها، خاصة العقوبات الثانوية منها.

وعلى الرغم من دعمه الصريح لأوكرانيا، كما يتضح من زيارته المفاجئة إلى أوكرانيا في نوفمبر 2022، ولقائه الرئيس فلاديمير زيلينسكي، فإنه لن يُظهر نفس الحماسة والعاطفة مثل رئيس الوزراء السابق جونسون، لكن سوناك سوف يتعرض لضغط كبير من جهات التمويل الدولية لمتابعة تسوية تفاوضية في أوكرانيا.

3- الإرث العِرْقي:

لقد ذُكر الكثير عن خلفيته الهندية وشُوهد نشطاء هندوتفا (Hindutva) وهم يحتفلون بتعيين سوناك. ولكنه ليس من المحتمل أن يكون لأي من هذه الأمور أي تأثير على سياسته الخارجية. حيث تعود علاقة المملكة المتحدة الحميمة مع الهند ومودي (على الرغم من إشكالاته) إلى ما قبل سوناك وتعود إلى سنوات رئيس الوزراء البريطاني الأسبق كاميرون، وبالتالي لن يُضطر سوناك إلى فعل الكثير لعلاقة هي قائمة ومستقرة لعقود ممتدة.

وقد يتطلع سوناك بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى البناء على العلاقة القائمة مع الهند، لكن ذلك سيكون نتيجة الضرورات الاقتصادية وليس بسبب خلفية سوناك. كما أن هناك القليل مما يوحي بأنه (أو زوجته) سوف يفضل الهند في السياسة الدولية، أو العكس، وتتمثل القضية الرئيسية لـ سوناك فيما يتعلق بالهند في مضاعفة الجهود مع الولايات المتحدة لإبقاء مودي بعيداً عن علاقاته الوثيقة مع روسيا وإيران (والمجال الذي يملكه من أجل التقارب بين الهند والصين).

4- التنافُس السياسي داخل حزب المحافظين:

أحد العوامل الحاكمة لسياسة سوناك الخارجية، تعدُّد الكتل المتنافسة داخل حزب المحافظين، فهناك العديد من الكتل اليمينية - العسكرية المؤيدة للحرب في أوكرانيا، وأخرى مناهضة للاتحاد الأوروبي المؤيدة لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وتدعو للتركيز على الشؤون المحلية، وتلك التي لها صلات بدول مجلس التعاون الخليجي وآخرون. وهناك توتر بين أولئك الذين يتحدثون عن الحرب مع روسيا والصين وبين أولئك الذين يهتمون أكثر بالسياسة الاقتصادية المحلية والاحتفاظ بمقاعدهم في انتخابات عام 2024. وهذه التيارات تم التوفيق بينها بطريقة واهية إلى حد ما من خلال محاولة إلقاء اللوم على روسيا وحرب أوكرانيا في مشاكل بريطانيا الاقتصادية.

وتشير استطلاعات الرأي[1] إلى أن الجمهور لا يصدق سردية "لوم روسيا". وقد كشف استطلاع[2] حديث أجرته شركة Ipsos Mori أن 64٪ من البريطانيين يعتقدون أن السياسات الاقتصادية لحكومة المحافظين تساهم في ارتفاع أزمات تكلفة المعيشة.

وبالإضافة إلى استقرار الاقتصاد، فإن مهمة سوناك الرئيسية تتمثّل في تقليل حجم هزيمة المحافظين في انتخابات عام 2024، مما يترك له مجالاً ضئيلاً للغاية للمنافسة، أو حرية الحركة في اتباع مسار للسياسة الخارجية يساعد المحافظين في هذا الصدد.

(1) George Eaton, Why the Tories can't blame the Ukraine war for the living standards crisis, New Statesman, 21 March 2022, visiting: 14-12-2022. Link: https://bit.ly/3hjRCxf
(2)Keiran Pedley, Gideon Skinner & Cameron Garrett, Two-thirds of Britons do not trust the Conservatives to reduce the cost of living, IPSOS, 29 March 2022. Visiting 14-12-2022, link: https://bit.ly/3hsYus3

ثانياً: توجهات وأولويات السياسة الخارجية لسوناك

في إطار العوامل والاعتبارات السابقة، يمكن القول: إن السياسة الخارجية لرئيس الوزراء البريطاني ريشي سوناك، ستقوم على عدد من التوجهات والأولويات الأساسية، منها:

1- أولوية الاقتصاد:

مع مرور المملكة المتحدة بأزمات اقتصادية حادة كانت لها انعكاساتها على تكلفة المعيشة، فمن المتوقع أن يضع سوناك أولوية عالية لمعالجة تدهور الأوضاع المالية المحلية، والتي تعرضت لضربة قوية في الأشهر الأخيرة. ولا توجد مؤشرات حاسمة أنه سيكون هناك تغيير ملحوظ في النهج الاستراتيجي للمملكة المتحدة تجاه القضايا العالمية الراهنة؛ لأنه بشكل أساسي، سوف يعتمد موقف رئيس الوزراء الجديد على الوضع الاقتصادي والحاجة إلى تحقيق الاستقرار المالي في المملكة المتحدة، وسيكون موقفه مدفوعاً بالمصالح الاقتصادية للمملكة المتحدة، وليس بما يجب أن يكون مبادئ ومسؤوليات الدولة على المسرح العالمي.

2- الشرق الأوسط:

فيما يتعلق بالشرق الأوسط، سيحاول سوناك الحفاظ على توافُق المملكة العربية السعودية مع الغرب، ليس فقط لأن المملكة حليف قديم وسوق كبيرة للبضائع البريطانية، ولكن لأن السعوديين بدؤوا أيضاً في التحوط من رهاناتهم مع الغرب، واتجهوا إلى توثيق العلاقات مع الصين وروسيا، ولا يرغب سوناك في أن تنجرف الرياض بعيداً في فلك موسكو وبكين، ومن المرجح أن تعتمد الولايات المتحدة على سوناك في هذا الشأن، في ظل المخاوف الكبيرة في واشنطن تجاه تحوّلات السعودية الأخيرة، بالنظر إلى الدور التاريخي للسعودية لأكثر من نصف قرن كضامن لنظام البترودولار القائم على ربط صادرات البترول بالدولار، مما كان له أكبر الأثر على استقرار وهيمنة العملة الأمريكية عالمياً[3].

(3) Nick Giambruno, Petrodollar System Flirts with Collapse… What It Means for Gold, Oil, and the Dollar, International Man, visiting 14-12-2022, link: https://bit.ly/3WbO5zu

وقد كشفت الحرب في أوكرانيا ضعف الغرب، ومع تحوّل التحالفات، تمتلك دول الخليج مزيداً من القوة، بفضل اتجاه أسعار النفط للارتفاع لأعلى من مستوياتها، وزيادة قلق الغرب بشأن مستقبل وتأثير سعر النفط على الاقتصاد، خاصة بعد أن تحدّت المملكة العربية السعودية الهيمنة الغربية من خلال خفض إنتاج النفط عَبْر منظمة (أوبك +) الذي أضر بالاقتصادات الغربية خلال فترة حرجة بالنسبة للحكومات الغربية التي تكافح لضبط الأوضاع الاقتصادية مع ارتفاع تكاليف المعيشة بعد ارتفاع أسعار الطاقة. كما أنها تحدّت هيمنة الدولار في وقت سابق من العام من خلال النظر في قبول المدفوعات باليوان الصيني.

وللتأكيد على أهمية دول الخليج في السياسة الخارجية البريطانية، تجدر الإشارة إلى أن سوناك لم يُصدر إدانات علنية لقطر على الرغم من الاحتجاج الأخير على الدوحة لاستضافة كأس العالم. حيث يرى سوناك أن قطر مستثمر رئيسي في المملكة المتحدة، ولن يُعرّض ذلك للخطر، بجانب أن هناك العديد من نواب حزب المحافظين الذين تربطهم علاقات وثيقة مع دول مجلس التعاون الخليجي، وسيتعرضون لضغوط لانتقاد قطر في الوقت الحالي بسبب الضغط الشعبي، أو على الأقل لتقليص العلاقات العامة المفيدة التي قد تتلقاها قطر، ومن الواضح أنهم لم يكونوا جزءاً من الحملة الإعلامية التي تستهدف قطر على أقل تقدير، وقد يلجأ البعض إلى سياسة إطلاق الإيماءات بسبب هجوم وسائل الإعلام البريطانية على قطر وانتقادها لما تقول إنه انتهاكات لحقوق الإنسان فيها، على خلفية تنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم، وهي انتقادات يمكن وسمها بالنفاق والازدواجية.

3- الصراع "العربي ـ الإسرائيلي"

في القضايا الحسّاسة مثل إسرائيل وفلسطين، من غير المرجّح أن يغير سوناك مساره بأي شكل، وقد كان أول شيء فعله بعد توليه منصبه هو التخلّي عن الخطة المثيرة للجدل لسلفه بنقل سفارة المملكة المتحدة في إسرائيل إلى القدس، وهذا لا يعني أن سوناك مؤيد لفلسطين بأي شكل. فقد قال على سبيل المثال: إن القدس هي "العاصمة التاريخية" لإسرائيل[4]، وعلاوة على ذلك، فإن السياسة الخارجية للمملكة المتحدة تجاه هذه المنطقة لا يقررها فرد واحد بما في ذلك رئيس الوزراء. وتتمتع وزارة الخارجية جنباً إلى جنب مع المؤسسات الفكرية اليمينية مثل Policy Exchange وجماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل بنفوذ أكبر عندما يتعلق الأمر بإسرائيل وفلسطين.

(4) Middle East Monitor, UK: Sunak says Jerusalem is Israel's 'historic capital', August 17, 2022, visiting 14-12-2022, link: https://bit.ly/3WiwSEQ

خلاصة

في إطار الاعتبارات السابقة، سوف يسعى سوناك بصفته رئيساً للوزراء إلى إصلاح الاقتصاد البريطاني أولاً، والحدّ من الأضرار الانتخابية التي لحقت بالمحافظين حتى الانتخابات العامة القادمة، حيث ينظر الكثيرون إلى سوناك على أنه "تجسيد للنظام الاقتصادي والسياسي المُعَوْلم"[5] الذي يحاول إنقاذ الاقتصاد الذي يعاني من حالة احتضار، خاصة أنه يُنظر إلى سوناك على أنه مرشح آمِن وموثوق، وهي صورة يأمل المحافظون أن تجعله أكثر جاذبية للجمهور البريطاني من جونسون أو ليزا تراس.

ونظراً لأن السياسة الداخلية هي الأولوية الأولى، فمن المرجَّح أن يكون سوناك رئيساً داخلياً للوزراء، ومن غير المرجَّح أن يثير أي ضجّة في أي قضية رئيسية تتعلق بالسياسة الخارجية. كما أنه، ونظراً لافتقاره الخبرةَ الحقيقيةَ في السياسة الخارجية، فإنه سيكون أكثر اعتماداً على كِبار المسؤولين في وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث.

(5) Martin Kettle, British foreign policy is in flux – we need more than Sunak's pragmatic blandness, The Guardian, Thu 1 Dec 2022, visiting 14-12-2022, link: https://bit.ly/3Fp9oHj

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net